

التجليات البلاغية في الأمثال الأمازيغية

أ/عقيلة أرزقي

جامعة البليدة 2

تاريخ القبول: 2019/06/13

تاريخ الإرسال: 2019/02/21

ملخص:

نروم من خلال هذه الأوراق البحثية الموسومة بـ: " التجليات البلاغية في الأمثال الأمازيغية " الوقوف على جمالية فنّ الأمثال الأمازيغية، كما أردنا إبراز نظرة هذه الأمثال إلى المرأة الأمازيغية، فكان لنا هذا التساؤل: ما اللطائف البلاغية في الأمثال الأمازيغية؟، وكيف تنظر تلك الأمثال إلى المرأة الأمازيغية؟، وما مدى قدرة تلك الأمثال على احتوائها برغباتها، وتطلّعاتها، ومشاكلها؟، وهل كانت منصفة بحقّها؟

وللإجابة عن ذلك، اتّبع البحث المنهج الوصفيّ الملائم لمثل هذه الدّراسة التي قسّمت إلى قسمين: قسم يبرز التجليات الجمالية، من بيان وبديع، فهما يكشفان عن الحسّ الجماليّ المميّز الذي يتمتّع به قائل المثل، وقسم آخر يكشف نظرة المجتمع للمرأة الأمازيغية.

الكلمات المفتاحية: التجليات، البلاغية، الأمثال، الأمازيغية.

Abstract :

This study entitled “the Rhetorical Aspects of the Amazigh Proverbs” aims at revealing the aesthetics of the Amazigh proverbs art. This study also aims at highlighting the way these proverbs represent the Amazigh woman. Therefore, we proposed these two questions: What are the rhetorical aspects of the Amazigh proverbs? And how do these proverbs represent the Amazigh women? And to what extent are these proverbs able to fit women’s desires, ambitions and problems? And are they fair with women?

In order to achieve that, this research followed the descriptive approach which is very appropriate for such a study. This study

was divided into two parts. One section was devoted for highlighting the aesthetic aspects of distinctness of expressions and figures of speech, revealing the distinctive aesthetic sense covered by the proverbs. The other section was devoted to reveal the view of society to Amazigh women.

Key words: The aspects, rhetorical, proverbs, Amazigh.

البحث:

مقدمة:

يعدّ المثل موروثا شعبيا تناقلته الأجيال بتعاقب الأزمان، فكان مرآة عاكسة لنمط عيشتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وطريقة تفكيرهم، ورغم أنّ المثل في كثير من الأحيان كان موجزا إلاّ أنّه نقل لنا وبصدق صورة المجتمع عبر العصور، ومن تلك الأمثال الأمازيغية، ولم يكن المثل مؤرخا لحياة المجتمعات فحسب، وإنما احتوى على الكثير

من الظواهر اللغوية، واللطائف الفنية مما جعل الكثير من الدارسين يعكفون عليه دراسة وتحليلاً، وهذه الأوراق البحثية الموسومة بـ: "التجليات البلاغية في الأمثال الأمازيغية" واحدة من تلك الدراسات التي نروم من خلالها الوقوف على جمالية فنّ الأمثال الأمازيغية، كما أردنا إبراز نظرة هذه الأمثال إلى المرأة الجزائرية، فكان لنا هذا التساؤل: ما الملامح المميزة للأمثال الأمازيغية؟، ما صورة المرأة في الأمثال الأمازيغية؟، وما مدى قدرة هذه الأمثال على احتواء المرأة برغباتها، وتطلّعاتها، ومشاكلها؟، وهل كانت منصفة بحقّها؟

وللإجابة عن ذلك، اتّبع البحث المنهج الوصفيّ الملائم لمثل هذه الدراسة التي قسّمت إلى قسمين: قسم يبرز التجليات الجمالية، من بيان وبديع، فهما يكشفان عن الحسن الجماليّ المميّز الذي يتمتّع به قائل المثل، وقسم آخر يكشف عن نظرة المجتمع من خلال الأمثال للمرأة الأمازيغية.

وقبل الحديث عن ذلك وجب الوقوف على المثل حدّ وخصائصاً وأنواعاً. وترجع الأمثال لغويّاً إلى الجزر "مثل" كلمة « مثل » وتعني: « كلمة تسوية، ويقال: هذا مثله ومثله، كما يقال: شبيهه وشَبْهه...، المثل: الحجة...، المثل: الانتصاب... »¹، وجاء في أساس البلاغة أنّ «مثله ومثيله ومماثلة... ومثله به

¹ - لسان العرب، ابن منظور جمال الدّين الإفريقيّ، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت)، (610/11). (مادة: م ث ل). وكذا ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تح: مصطفى الحجازي، مراجعة: أحمد مختار عمر وآخرون، التراث العربيّ، الكويت، (د.ت)، (379/30-389). (مادة: م ث ل). وكذا ينظر: التكملة والذيل والصلة، الصغاني الحسن بن محمد، تح: إبراهيم إسماعيل الأبياري، مرا: خلف الله أحمد، مطبعة دار الكتب، القاهرة، مصر، 1970م، (510/5-511). (مادة: م ث ل).

شبهه... ومثل الشيء بالشيء: سَوِيَ به وقدّر تقديره...، والمثال: هو الفراش...،
والقصاص...»¹.

ويتبين من ذلك أنّ كلمة "مثل" من الكلمات التي تحمل عدّة معاني تبرز بين
المحسوس والمجرد.

أمّا اصطلاحاً فقد عرّف المثل بقولهم: «وشي الكلام وجوهر اللفظ وحليّ
المعاني... ونطق بما كلّ زمان وعلى كلّ لسان. فهي أبقى من الشعر، وأشرف من
الخطابة، لم يسر شيء مسيره ولا عمّ عمومها حتّى قيل أسير من مثل»².

ويعلّل ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) سبب تسمية المثل بذلك فيقول: «لأنّه
ماثل لخاطر الإنسان أبداً يتأسّى به، ويعظ ويأمر ويزجر... وقال بعضهم: في المثل
ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، إصابة المعنى وحسن التشبيه»³.

وعليه، فالمثل آلة من آلات البيان، إذ لا نجد مثلاً يخلو من صورة فنيّة أو استعارة
أو أسلوب بدعيّ معنوي كان أم لفظي، فهي الوسيلة التي تجعل المعنويّ محسوساً،
وفي ذلك وضوح للمعاني، وإبداع في استعمال التراكيب ممّا يخرجها في أجمل صورة،

¹ - أساس البلاغة، الزّحشريّ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب
العلميّة، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، (2/193). (مادة: م ث ل).

² - العقد الفريد، ابن عبد ربه أحمد بن محمّد، تح: عبد المجيد التّرحيني، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1،
1404هـ/1983م، (3/3).

³ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيروانيّ أبي عليّ الحسن، تح: محي الدّين عبد الحميد، دار
الجيل، ط5، 1401هـ/1981م، (1/280).

فضلا عن الإيقاع الموسيقي الذي تطرب له الأسماع، لذا سنقف على مدى احتواء الأمثال الأمازيغية لتلك اللطائف البلاغية.

أولا: الصور البيانية في الأمثال الأمازيغية:

تتميز الأمثال الأمازيغية من الناحية البلاغية بتوظيفها مختلف الأساليب البيانية، وأهمها: التشبيه، والاستعارة، والكناية، وهذا لتقوية المعنى وترسيخه في الذهن.

1- التشبيه: التشبيه لغة من: شَبَّهَ يُشَبِّهُ تَشْبِيْهًا، وهو التمثيل. جاء في لسان العرب: « شبه: الشَّبَّه والشَّبَّه والشَّبِيْه: المِثْلُ، الجُمْعُ أَشْبَاهُ. وَأَشْبَهَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ: مَائِلُهُ »¹، أما اصطلاحا فهو « إلحاق شيء بآخر بينهما صفة مشتركة »²، وقيل: هو: « الوصف بأنَّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه »³.

وقد شاع استعماله في كلام السلف، لكونه أعلق بالطبع، وأقرب إلى النفس، « إذ يعدّ وسيلة من وسائل الجمال الأدبي، كما أنه أداة توضيح ما من شأنه أن يكون

¹ - لسان العرب، ابن منظور جمال الدين الإفريقي، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت)، (503/13). مادة: ش ب هـ

² - شرح التلخيص في علوم البلاغة، القزويني عبد الله، شر: محمد هاشم دويدري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1982م، (ص:120).

³ - الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله، تح: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1406هـ/1986م، (ص239). وكذا ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع البيان المعاني، فوال العكاري أنعام، مرا: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1417هـ/1996م، (ص323).

غامضا في ذهن المتلقي»¹، لذا كان التشبيه: «من أشرف الكلام، وفيه تكون الفطنة والبراعة»²، «يزيد المعنى وضوحا، ويكسبه تأكيدا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب، والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه»³.

فالتشبيه إذن هو تماثل بين شيئين أو بين صورتين إحداهما حقيقية والأخرى مجازية لجامع في صفة أو أكثر على سبيل التّطابق أو التّقارب، وهو وسيلة من وسائل الإيضاح تتم بطرق مختلفة، فقد يكون الشّبه «تارة في صورته وشكله، وتارة في حركته وفعله، وتارة في لونه ونجده، وتارة في سوسه وطبعه، وكلّ منها متّحد بذاته»⁴، لذا كان أوسع أنواع البيان انتشارا في الأمثال، ومن أمثلته قولهم:

المثل بالأمازيغية	المثل بالعربية	المش بّه	المشبه به	أداة التشبيه	وجه الشبه
أَمِينٌ يَطْفَنُ دَقٌّ وَمَنْ.	كالقالبض على الماء.	يَطْفَنُ	وَمَنْ	دَقٌّ	صعوبة الإمساك.

¹ - معالم نحوية وأسلوبية في الأمثال الشعبية الجزائرية، محمد عيلان، دار العلوم للنشر والتوزيع، عناية، الجزائر، 2013م، (ص:23).

² - البرهان في وجوه البيان، ابن وهب إسحاق بن إبراهيم، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، (د.د)، بغداد، العراق، 1967م، (ص:58).

³ - الأسلوبية وثلاثية الدوائر العرضية، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م، (ص:432).

⁴ - المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، حواس بري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2002م، (ص:189).

تَفْشِيشَتْ	الفتاة	تَفْشِيشَتْ	تَمَزِينْ	أَمَّ	التكِيَّة
أَمَّ تَمَزِينْ، أُنْدَا إِنَّرَزْ عَضْ أَدْ تَمَّعِي.	كالقمح أينما وجدت تنمو	ت			ف في أي مكان وجدت فيه.
آيَلِي، النَّيْفُ أَمَّ لُحَافْ، وَيْنْ ثِيحْدَرْنْ آثْ يَافْ.	ابني، الشَّرَفْ كالغطاء أين تحافظ عليه يحميك.	النَّيْفُ	لُحَافْ	أَمَّ	النَّقاء .
دُونِيَتْ	الدُّنْيَا	دُونِيَتْ	نْ وَغُرُومْ	أَمَّ	التَّقْدَّ
تَقْلَابْ أَمَّ تَحْبُولَتْ نْ وَغُرُومْ.	تتقلب كالخبز الذي يُطهى على وجعين.				ب
كُلْ	كُلْ	الولد	خَنْفُوسْ دَغَزَالْ	مُحْد وَفَة	الشَّيْ ء القبيح عند
خَنْفُوسْ غُورْ يَمَّاسْ دَغَزَالْ	خَنْفُوسْ عند أُمِّه غَزَالْ				

محبوبه جميل					
جلب	محمد	دَعَوْسُو	الزواج	أصبح الزواج بليّة	ييزُ الزَّوْاجُ دَعَوْسُو
تفضّه يل الغير على النفس	أمّ	تُسَقْنِيثُ	الشّخ ص المعني	مثله كالإبرة تكسي الناس، وهي عارية	تَضَرِّيْدَسْ أمّ تِسَقْنِيثُ، تُسَلْسَن مَدَّنْ نَتَاتْ عَرِيَانْ.
ضرور ة الشّيء في مكانه	أمّ	البحر الحوت	أَخَامْ مَمَطُوثْ	البيت بلا مرأة كالبحر بلا حوت.	أَخَامْ بَلَا مَمَطُوثْ أمّ لَبَحْرْ بَلَا لُحُوثْ
الملاح قة.	أمّ	تِرْصَاصِيْ ين.	الدَّعْوَى نْ لَوَالِدِيْنْ	دعوة الوالدين صعبة، تلاحقك كالرّصاصة.	الدَّعْوَى نْ لَوَالِدِيْنْ ثُوْعَرْ، تَتْلَاحِقْ أمّ تِرْصَاصِيْنْ.
الار تباط	أمّ	لُحُوثْ	كَنْشِيْنِيْ	أنت كالخوت،	كَنْشِيْنِيْ أمّ لُحُوثْ أَذِيْقَعْ

سُقَامَانُ أَدَّ يُمُوتُ.	عندما تخرج من الماء تموت.			بمكان، واستحالة العيش خارجه.
تَمَطَّوْتُ تَرَوُلُ سَقَشِيْب أَمَعُ سَخَسِ سَقُوشَنُ.	المرأة تهرب من الشَّيب مثل النّعجة من الذَّئب.	تَمَطَّوْتُ سَقَشِيْب بْ	سَخَسِ سَقَشَنُ	أَمَعُ الخو ف من شيء.
أَوَّلِيْكَ إِنَّقَسَ أَمَعُ سَمَ أَنْ لَحِيَّة.	كلامك يؤذي كسم الحية.	أَوَّلِيْكَ	سَمَ أَنْ لَحِيَّة.	أَمَعُ إلحاق الضرر.
كَتَشِيْنِي أَمَ عُشْنُ.	أنت كالذَّئب.	كَتَشِيْنِي	عُشْنُ	أَمَ الحيلة.
أَمَسْلَآيِيْكَ أَمَ هَوَا أَمِيْنُ يَسُوَا أَمَانُ دَ لَحَوَا.	كلامك كالهواء، يشبه من شرب الماء وهو خاوي البطن.	أَمَسْلَآ يِيْكَ	هَوَا يَسُوَا أَمَانُ دَ لَحَوَا	أَمَ عدم النّفع.

الجما	أم	جُوهر	أمي	عندما	مِنْ زُرَيْغ
ل،				رأيت ابني على	أمي عَافَ
والقيمة.				الحيط شَبَّته	لَحِيطَ أم جُوهر
				بالجواهر في	لَحِيطَ.
				الخيط.	

ويتّضح من الجدول أنّ المثل الأمازيغي قد اشتمل على أركان التشبيه، ونجد أنّ في بعضه قد حذفت فيه الأداة ووجه التشبيه، فكان بليغا، عبّرت من خلاله المرأة الأمازيغية عن مختلف القضايا التي تمسّ حياتها مستغلةً بذلك المادة التشبيهية، التي جعلت الأمثال أكثر وضوحا وجلاءً كما ساعدت في تقوية المعاني وتقريبها في الأذهان.

2- الاستعارة:

الاستعارة لغة من: استعار يستعير استعارة، جاء في لسان العرب: « استعار طلب العارية واستعاره الشيء واستعاره منه طلب منه أن يُعيره إياه الشيء من قولهم، استعار المال: إذا طلبه عارية... والعارية منسوبة إلى العارة وهو اسم من الإعارة تقول أعزته الشيء أعيره»¹.

¹ - لسان العرب، ابن منظور. (612/4). (مادة: ع و ر).

يعتبر الجرجاني (ت471هـ) من أبرز العلماء الذين نظّروا للاستعارة، ويُنوِّها حدّها وتقسيماتها¹، ومن بين من عرّفها صاحب الطراز قائلاً: «تصيير الشّيء للشّيء وليس به»²، فيأخذ الشّيء صفة شيء آخر فيصبح شبيهاً به.

وعرّفها صاحب المفتاح بقوله: «الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيًا دخول المشبّه في جنس المشبّه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخصّ المشبّه به، كما تقول في الحمام: أسد، وأنت تريد به الشّجاع، مدّعيًا أنّه من جنس الأسود»³.

فالاستعارة هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، ومن أمثلتها نذكر:

الأمثال بالأمازيغية	الأمثال بالعربية	شرحها
لَفْرَاقُ أَبُو تَسْوَقَاسْ، مَا	الفراق أبو الحية،	شبهه الفراق (الموت)

¹ - دلائل الإعجاز ، الجرجاني أبو بكر عبد القاهر، تع: أبو فهد محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2000م، (ص:72).

² - الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي يحيى بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ، (1/107).

³ - مفتاح العلوم، السكاكي بن أبي بكر محمّد بن عليّ، ضبطه وكتب حواشيه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ/1983م، (ص:369). وكذا ينظر: التعريفات، الجرجاني محمّد بن عليّ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ، (ص:35). وكذا ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، الخطيب القزويني جلال الدّین أبو عبد الله محمّد: دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (د.ت)، (ص:285).

يُعَزَّكَ بَلَا تُعْمَاسْ.	يلذغك بلا أسنان.	بالحيّة تلدغ الإنسان بسمّها، ذكر المشبه وحذف المشبه به (الحيّة) تاركا لازمة من لوازمه (يُعَزَّكَ) على سبيل الاستعارة المكنيّة.
لَحِيطٌ يَسْعَ إِمْرُوعَنَّ.	الجدار يملك آذان.	شبه الجدار بالإنسان له آذان، حذف المشبه به (الإنسان)، ورمز له بأحد لوازمه (إِمْرُوعَنَّ) على سبيل الاستعارة المكنيّة.
لَا زُ أَوْرُ يَسْعِي نِنْرَارُ	الجوع لا يملك أنف.	شبه الجوع بالإنسان له أنف، حذف المشبه به (الإنسان)، ورمز له بأحد لوازمه (نِنْرَارُ) على سبيل الاستعارة المكنيّة.
أَسِيفُ إِيُومِي سُوَسْمَنَّ، أُورُ يَسْعِي لَأَمَانُ.	الواد السّاكت، فما فيه أمان.	شبه الواد بالإنسان يسكت، حذف المشبه به

(الإنسان)، ورمز له بلازمين (سُوسَمَن) و(لَأَمَان) على سبيل الاستعارة المكنية.		
شبهه الخوف بالإنسان، حذف المشبه به (الإنسان)، ورمز له بلازميتين (تَرْوَال) و(أَفْعَن)، على سبيل الاستعارة المكنية.	الخوف يجري الشيوخ، ويخرج الذئب من الغابة.	تَقْدِ تَرْوَالِ إِمْعَارِينَ، أَوْشَانِ أَفْعَنِ سِلْعَابَةَ.
شبهت الإبرة بالإنسان لا عين له، حذف المشبه به (الإنسان)، ورمز له بأحد لوازمه (إِعْفِيس) على سبيل الاستعارة المكنية.	الإبرة ليس لها عين.	تِسْفِيسِيَتْ وَسَعِيْعَارَا إِعْفِيسَ.
شبهه الخير بسيف يقطع، حذف المشبه به (السيف)، ورمز له بأحد لوازمه (تَقْرَم) على سبيل	الخير في الناس يقطع لألستهم.	أَلْخَيْرِ أَقْ مَدَّنْ تَقْرَمَ ظَسْنِ إِلْسْ أَنْسَنَ.

الاستعارة المكنية.		
شَبَّهَت الشمس بالإنسان لها عين، حذف المشبه به (الإنسان)، ورمز له بأحد لوازمه (تَطُوشَتْ) على سبيل الاستعارة المكنية.	عين الشمس لا يُعْطِيهَا غَرْبًا.	تَطُوشَتْ إِيَّاطِيحْ أُوَيْتَعْمُوِيَارَا أُوَغَارَقَالَ.
شَبَّهَت البطن بالإنسان يتكلم، حذف المشبه به (الإنسان) ورمز له بأحد لوازمه (أَسْتَن) على سبيل الاستعارة المكنية.	البطن إذا شَبَّعَتْ تقول للرأس: "عَنَّ".	أَعْلِيْطُ مَاذُ تَرْوِي أَسْتَن أَقْرُوِي: "عَنِّي".

وُظِفَتِ الاستعارة المكنية في الأمثال الأمازيغية بشكل ملحوظ، ونجد الإبداع الشعبي قد تعامل « مع الاستعارة تعاملًا وظيفيًا؛ حيث كان يبحث عن الدلالة أينما كانت، وبأي ثمن لغوي»¹، كما نجده يجسّد الأمور المعنوية ويمنحها حياة في صور شخوص تفعل وتقول، ومن أمثلته قولهم: (أَعْلِيْطُ مَاذُ تَرْوِي أَسْتَنِ أَقْرُوِي: "عَنِّي": البطن إذا شَبَّعَتْ تقول للرأس: "عَنَّ")، (لَمُوْتُ تَقَارْدُ أُوْفُوْسِيْسِن: الموت لا يخطئ)،

¹ - ظاهرة الشعر المغاربي في المغرب، بنيس محمد، دار العودة، بيروت، لبنان، 1978م، (ص: 172).

(ثِسْثُسِيْثٌ وَسَعِيْعَارَا إِغْفِيْسٌ: الإبرة ليس لها عين)، فقد (ربط الجامد بالمتحرّك، والإنسان بالحيوان، والنبات بالإنسان، مفجّرا الحدود اللّغويّة والبلاغيّة والدّلاليّة، فكان يبحث عن الأدلّة المتنافرة ليؤلّف بين تناقضاتها الاستعاريّة معقّدة تقوم في الأساس على تحطيم العلاقات الدّلاليّة داخل اللّغة...، ولكنّه يهدف من وراء فعله التّحطيميّ إلى بناء خاصّ به لا وجود له في الواقع العيني¹.

3- الكناية:

الكناية لغة من كَنَى يُكَنِّي كناية، وهي: « أن تتكلّم بشيء وتريد غيره...، ويقال: كَنَيْتُهُ، وَكَنَوْتُهُ، وَأَكْنَيْتُهُ، وَكَنَيْتُهُ، وَكَنَيْتُهُ أَبَا زَيْدٍ وَبَابِي زَيْدٌ تَكْنِيَةً، وَهُوَ كَنَيْتُهُ كَمَا تَقُولُ: سَمِيَهُ...، الكُنَى جمع كُنْيَةٍ من قولك: كَنَيْتَ عن الأمر وَكَنَوْتُ عَنْهُ؛ إِذَا وَرَيْتَ عَنْهُ بغيره².

أمّا الكناية اصطلاحاً فقليل: « هي ترك الصّريح بذكر الشّيء إلى ذكر ما هو ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النّجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة... وسمّي هذا النوع كناية، لما فيه من إخفاء وجه التّصريح³.

يعتمد هذا التعريف السّابق علاقة اللاّزم والملزوم، فلو قلنا (كثير الرّماد) نعدّ هذا الكلام من اللاّزم، ولكن هناك معنى ملزوم بهذا اللاّزم، وهو الكرم، وهذا ما قُصده

¹ - المرجع نفسه، (ص:172).

² - لسان العرب، ابن منظور. (233/15). (مادّة: ك ن ي)

³ - مفتاح العلوم، السّكّاكّي، (ص:402).

بالملزوم، وقيل في تعريفها: «الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه»¹، أي أنّها تُحمل على وجهين، أحدهما حقيقيّ، وثانيهما خياليّ لعدم وجود قرينة صارفة عن المعنى الحقيقيّ، وهنا يكمن الفرق بين الكناية والمجاز لاعتماد هذا الأخير على القرينة، ومن أمثلتها في الأمثال الأمازيغيّة، نذكر منها:

الأمثال بالأمازيغيّة.	الأمثال بالعربيّة.	شرحها.
نَعْ تَيَدِتْ أَذْرُوحَنْ يَدَن.	اقتل الكلبة يبتعد الكلاب.	كناية عن المرأة السيّئة.
أَنَدَا تَرَزَزْ تَقُتْ أَذْ تَدْفِيرْ يَلِيْس.	المكان الذي ترعى فيه المعزة تتبعها إليه ابتها.	كناية عن شبه البنت بأمّها.
تَقُونَاْسْ يُورُونْ إِنْسْ يُورُونْ أَذْ مَشَاهْ يُورُونْ أَذْ تَز.	البقرة التي تلد خنفوس لا يمكننا أن تلحسه أو تتركه.	كناية عن حالة الوالدين الذين يفشلان في تربية الأولاد، فلا يستطيعان تركهم، ولا يستطيعان تحمّل ذلك.
أَزَقَرْ مَ يَدَرَعَفْ أَدْفِيْعْ إِودَعَفْ.	الثور عندما يغضب يخرج عن الحدود.	كناية عن شدّة غضب الإنسان.
أَغْيُولْ دَا غْيُولْ تُوثِيْطْ	الحمار حمار ضربته أن	كناية عن عدم التّغيير.

¹ - التلخيص في وجوه البلاغة، الخطيب القزويني جلال الدّين محمّد، شر: عبد الرّحمن برقوقي، دار الفكر العربيّ، مصر، ط1، 1904م، (ص337).

نَعَّ بِحَيْط.	ترركته.	
كَسَعَّاسُ إِسْلَفُنْ إِيوَيْدِ يَتَشِي.	نزعت البراغيث على الكلب أكلني.	كناية عن ناكر الجميل.
أَرْقَرُ يَزَارُ إِزْدَنْ نَا أَغْيُولُ تُشَاثْ.	القمح يزرعه الثور، ويأكله الحمار.	كناية عن الكسول يأكل تعب العامل.
أَغْيُولُ أَتَّعْ خَيْرَ إِيَزَمَ أَمَدَّنْ.	حمارنا خير من أسد الناس.	كناية عن التَّغْيِبِ في امتلاك شيء لو كان بسيطا أفضل من شيء ثمين يمتلكه غيرنا.
مَا يَفْعُ إِيَزَمَ أَوْعَامِيسَ مَذْلُولُ.	ما إن يخرج الأسد من بيته يصبح مذلولاً.	كناية عن قيمة المرء في بيته الأصلي لا بيت غيره.
مَا يَفْعُ أَوْمَشِيشَ، أَغَرْدَا يُوفَا إِمَانِيسَ.	ما إن يخرج القط، يأخذ الفار راحته.	كناية عن أخذ الحرية عند غياب من يمنع عنها.
إِيَزَمَ مَايْدَاغَالْ دَامَعَارْ يَطْمَعُ دَقْسَ وَشَانْ.	السَّبع إذا أصبح عجوزاً يطعم فيه الدَّئِبَ.	كناية عن حالة القوي عندما يضعف.
يَوْنُ وَفُوسْ أَوْرُ يَتَشَقِيرْ.	يد واحدة لا تصفّق.	كناية عن أهمية التعاون.

إِلْسْ أَرِضَانْ إِتْتَضْ تَسْدَا.	اللَّسَانُ الْحَلُو يَرْضَع اللَّبْوَة.	كناية عن الكلمة الطَّيِّبَة الَّتِي تَحْقُقُ المستحيل.
إِيمِي إِيَزَمَمْ أُورْ تَكْشَمَنْ يَزَانْ.	الفم المغلق لا تدخله ذبابة.	كناية عن التزام الصَّمت.
تَضْسَانْ وَقْلَانْ.	الضَّحْكُ الْمَزِيفُ.	كناية عن التَّفَاقُ.
يَوْنْ أَغْرَابْ يِعَمَّرْ أَسُوقْ.	عربيّ واحد ملأ السوق.	كناية عن الثَّرة والازعاج.
تَتَارَاوْ تَزْدَايْثُ التَّمْرْ.	التَّحِيلُ يَنْتِجُ التَّمْرَ.	كناية عن الأصل الشَّرِيف لا يلد إلا شريفاً.

إنّ هذه الأمثال الأمازيغيّة الّتي تكلمت بها المرأة الأمازيغيّة على بساطة كلماتها وإيجاز لفظها نجدها ثريّة بالمعاني القيّمة، استطاعت من خلالها المرأة التعبير عن مقاصدها بشكل غير مباشر، وذلك بالانتقال من المعنى الحقيقيّ إلى المعنى المقصود في مختلف الجوانب الّتي تمسّ حياتها، فالمثل «يتميّز عن غيره من الكلام بالإيجاز، ولطف الكناية، وجمال البلاغة»¹.

ثانيا: الأشكال البديعيّة في الأمثال الأمازيغيّة:

¹ - أشكال التعبير في الأدب الشّعبيّ، نبيلة إبراهيم، دار غريب، القاهرة، مصر، ط3، 1981م، (ص:174).

من عوامل تداول الأمثال احتواؤها على الزخرفة اللفظية والمعنوية، فتلك المحسنات زادت الأمثال جمالا ورونقا، واكسبتها حفة وإيقاعا سهّل ترسيخها في الأذهان، ومن بينها:

1- الطّباق والمقابلة:

الطّباق لغة مأخوذ من طَبَق. جاء في لسان العرب: « طَبَقَ كُلُّ شَيْءٍ: مَا سِوَاهُ... وَقَدْ طَابَقَهُ مُطَابَقَةٌ وَطِبَاقًا. وَتَطَابَقَ الشَّيْئَانِ: تَسَاوَيَا. وَالْمُطَابَقَةُ: الْمُوَافَقَةُ. وَالتَّطَابُقُ: الْإِتِّفَاقُ...»¹، في اصطلاح البلاغيين هو: « أن تجمع بين متضادين»²، « على سبيل الحقيقة، أو على سبيل المجاز، ولو إيهامًا، ولا يشترط في اللفظين الدالين عليهما من نوع واحد كاسمين أو فعلين، فشرط التّقابل في المعنيين فقط³ .

والمقابلة هي لون من الألوان البديعية المعنوية وهي مأخوذة في لغة من: قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً: عارضه، والمقابلة: المواجهة، والتّقابل مثله⁴، أمّا اصطلاحاً: فقد قيل: « المقابلة إيراد الكلام ثمّ مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة»⁵.

¹ - لسان العرب، ابن منظور. (10/209-214). (مادة: ط ب ق).

² - مفتاح العلوم، السكاكيني، (ص:423).

³ - البلاغة العربية (أسسها، وعلومها، وفنونها)، الميداني عبد الرحمن حنّك، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1416هـ/1996م، (2/377).

⁴ - لسان العرب، ابن منظور، (11/535-536). (مادة: ق ب ل)

⁵ - الصّناعتين، أبو هلال العسكري، (ص:337).

الأمثال بالأمازيغية.	الأمثال بالعربية.	شرحها.
وِينْ يُحْمَلْنَ وَيَقْنُونِ لَقَصْرْ، وِينْ يَكْرَهْنَ وَيَقْنُونِ أَرْكَ.	من يحبني لا ييني لي قصرا، ومن يكرهني لا ييني لي قبرا.	مقابلة.
أَخْرَزِي سِي سَزْدَاتْ أَكْم حَزْرَغْ سَفْفِيرْ.	احمن من القدام، نحميك من الخلف.	طباق الإيجاب.
أَيْنْ يَدْيُوسَانْ قِيُوبَاسْ أَذِيرُوحْ ذَقِيسْ.	الذي يأتي بالنهار يذهب بالليل.	طباق الإيجاب.
وَحَدَمْ حَدْ أَمْ يَمْ، وَسَحَدَمْ عَرَا أَمْ يَلِيسْ.	لا يخدمني أحد كأمي، لا أخدمع كابنة.	طباق الإيجاب.
يَرْغْ أَوْ زَقْرَاوْ عَافْ أَوْفُورَانْ.	الحريق يأكل الأخضر والأصفر.	طباق الإيجاب.
لِحَاضَرْ يَحْضَرْ، أَمْسَافَرْ يَتَبَعِيشْ الشَّكْ.	حضور المرء قاتل للشك، وغيابه منه.	مقابلة.
تَمَطُوثْ ذُلْسَاسْ، أَرْقَارْ دَاجِقُوْ أَلْمَاسْ.	المرأة أساس البيت، والرجل عموده القوي.	مقابلة.
لَكْدَبْ إِقْطُوْ يُونْ وَاسْ، تِيْدَتْ تَقْطُوْ كُولَاسْ.	الكذب فائدته مؤقتة، والصدق فائدته دائمة.	مقابلة.

مقابلة.	اللسان طويل، واليد قصيرة.	إِلْس دَاغُوزْفَان، أَفُوسْ دُوزْلَانْ.
---------	---------------------------	--

وظّفت الأمثال الطّباق والمقابلة لإقناع السّامع وتأكيد صحّة ما تدعو إليه وذلك من خلال الجمع بين الضّدين، وكأنّها تريد عقد مفاضلة بينهما، ونجد أنّ هذا التّوظيف قد ساعد في تقوية المعنى وتحميل المبنى.

2- السّجع:

السّجع لغة الاستقامة. جاء في لسان العرب: « سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعًا: اسْتَوَى وَاسْتَقَامَ وَأَشْبَهَ بَعْضُهُ بَعْضًا... السّجّع: الكَلَامُ الْمُقَفَّى، وَالْجُمُعُ أُسْجَاعٌ وَأَسَاجِيعٌ؛ وَكَلَامٌ مُسْجَعٌ...، سُمِّيَ سَجْعًا لِاشْتِبَاهِ أَوَاخِرِهِ وَتَنَاسُبِ قَوَاصِلِهِ...، وَسَجَعَ بِالشَّيْءِ نَطَقَ بِهِ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ. وَالْأُسْجُوعَةُ: مَا سَجَعَ بِهِ ¹»، وعرفه ضياء الدين بن الأثير (ت637هـ) قائلاً: « هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنشور على الحرف الواحد»².

والأصل في السّجع أن يكون في النّثر، لذا يُطلق على الفقرة المنتهية بالفاصلة سَجْعَةً، لكنّه قد يأتي داخل فقرات البيت في الشّعر، فيزيده حسنًا سيما إذا كان غير متكلّف، ومن أمثلته قولهم:

نوعها.	الأمثال بالعربيّة.	الأمثال بالأمازيغيّة.
--------	--------------------	-----------------------

¹ - لسان العرب، ابن منظور، (8/150). (مادّة: س ج ع).

² - المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، ضياء الدين بن الأثير نصر الله بن محمّد: تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، 1995م، (1/195).

سجع طويل مطرّف.	أبي أبي، أين أذهب أجدها حتى في دار أبي.	أَقَا قَا أَنْ دَا دِيغْ أَدَا نَقَا أُولَا أَوْعَامْ قَا قَا.
سجع قصير مرصّع.	الطّمع يفسد الطّبع.	الطّمْعُ يَحْسِرُ الطّبعُ.
سجع قصير مطرّف.	أسكت عنك وأضع تحتك حيّة.	أَمْ سُسَمَاغْ ذِرْزَمْ إِم سُمْتَعْ.
سجع طويل مطرّف	عندما تتفق العجوز وكتتها، يدخل إبليس إلى الجنة.	مَايَمْ تَدُوْكُنْ ثَمَّعَارْثْ تَسْلِيْثْ أَيْلِيْسْ يَكْشَمْ أَلْجَنَّتْ.
سجع قصير مرصّع.	ذوي المصاب الكبير صبروا، وذوي الرّغبة في الأجر ازدادوا كفرا.	إِمُولَانْ صَبْرَنْ، إِمْرَانْ كَفَرَنْ.
سجع مرصّع.	نحن نفكر، وربّي يدبّر.	نُكْنِي نَتَحَبَّرْ، رَبِّي اتَصَبَّرْ.
سجع قصير مرصّع	البيت أبو المشاكل، إمّا يتفرّق أصحابه، وإمّا يُحرق البيت.	أَخَامْ بُو الْمَشَاكِلْ، أَدْ يَفْرُقْ أَنْعْ يَحْرُقْ.
سجع قصير مطرّف.	المرأة الصّالحة خير من ثيران الحرث.	ثَمَطَوْتُ إِزْرَنْ ثِيَقْ إِزْرَزَنْ. ثِيرَانِ الْحَرْثِ.

سجع طويل مطرّف.	الضيف لمرة وليس كلّ يوم، ويومان يرحل.	إِنْفَقَ أَذْ يُبَّاسَ مَاشِي تُكَلَّاسَ، مَايَمَ يُمَائِنَ أَذْوَ فَلَّاسَ.
سجع قصير مطرّف.	المرأة يحسبونها عبيد.	تَمْطَوْتُ حَسْبَ تَكْلِيثٍ.
سجع قصير مرصّع.	المرأة المقتصدة أفضل من زوج ثيران.	تَمْطَوْتُ أَحْزَرَ ثِيْفَ ثِيَوْقٍ إِكْزَرَ.

لقد أعطى السجع الأمثال حقّة ممّا ساعد على سرعة حفظه ثمّ تداوله بين الألسنة، فلولاه «لما تحقّقت اللذة، ولا حصل الأنس»¹، وما زاد من جماله أنّه مرتجل وعفويّ، وهذا ما يمنع من أن يكون هذا السجع متكلّفاً.

3- الجنس:

وقد اشتهر على ألسنة العامة بالفتح، وصحّحه بعض المتأخرين بالكسر على أنّه مصدر "جانس"، وقد اختلف العلماء في صحّته لغويّاً²، وهو ما نقله صاحب المصباح: « هذا يجانس هذا أي يشاكله ونَصَّ عَلَيْهِ فِي التَّهْذِيبِ أَيْضًا وَعَنْ بَعْضِهِمْ

¹ - الأمثال العربيّة القديمة (دراسة أسلوبية سردية)، داود أمانى سليمان، المؤسسة العربيّة للتّشريع والتّوزيع، بيروت، لبنان، 2009م، (ص:83)

² - المصباح المنير في غريب شرح الكبير للرافعي، الفيومي أبو العباس أحمد بن محمّد بن عليّ، المكتبة العلميّة، بيروت، لبنان، (د.ت). (111/1). (مادّة: ج ن س)

فَلَا نَ لَا يُجَانِسُ النَّاسَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ تَمَيُّزٌ وَلَا عَقْلٌ وَالْأَصْمَعِيُّ يُنْكِرُ هَذَيْنِ
الِاسْتِعْمَالَيْنِ وَيَقُولُ هُوَ كَلَامُ الْمُؤَلَّدِينَ وَلَيْسَ بِعَرَبِيٍّ¹.

وفي الاصطلاح: « اتحاد الاسم واختلاف المسميات، كالعين، فإنها تطلق على
العين الناطرة، وعلى ينبوع الماء، وعلى المطر، وغيره، إلا أن المشتركة تفتقر في
الاستعمال إلى قرينة تخصصها، كي لا تكون مبهمة؛ لأننا إذا قلنا: "عين"، ثم سكتنا،
وقع ذلك على احتمالات كثيرة من العين الناطرة والعين النابعة والمطر وغيره مما هو
موضوع بإزاء هذا الاسم، وإذا قرئنا إليه قرينة تخصه زال ذلك الإبهام، بأن نقول: عين
حسنة، أو عين نضاجة، أو مُلْتَتَّة، أو غير ذلك»².

ويُعرف عند علماء البلاغة بالتجنيس³، والتجانس، والمجانسة⁴، ومن أمثله قولهم:

نوعها.	الأمثال بالعربية.	الأمثال بالأمازيغية.
جناس ناقص.	الطَّمْعُ يُفْسِدُ الطَّبْعَ.	أَطْمَعُ يَحْسَرُ الطَّبْعُ.
جناس ناقص.	المرأة السيئة طالقها أفضل لها.	يِيرُ مَطُو يَلْهَى بَطُو

¹ - وأول من تكلم عن الجناس ثعلب (ت291هـ) تحت اسم الطباق وعرفه وأول من عرفه باسم التجنيس هو
ابن المعتز (ت296هـ)، وغلب عليه هذا الاسم، وظل يُعرف به إلى حد اليوم. ينظر: البديع في ضوء أساليب
القرآن، لاشين عبد الفتاح، دار المعارف، مصر، ط1، 1979م، (ص:157).

² - المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، (50/1).

³ - ينظر: الطراز، العلوي، (3/137).

⁴ - ينظر: جواهر البلاغة، الهاشمي، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1431هـ/2010م،
(ص:288). (الهامش1).

وَيْنُ يَسْعَانُ زَيْمَرُ يَقَاسُ زَيْكَرُ.	الَّذِي عنده كبش يربطه جيدا.	جناس ناقص
ثَمَطُوثُ حَسْبَنُ ثَكْلِيثُ.	المرأة يحسبونها عبيد.	جناس ناقص.
يَيْفُ ثَحْبُولْتُ مَّ لَفَّوَارُ، وَلَا كَعْبَةُ مَّ لَصَوَارُ	نفي الجوع عن الفقير أفضل من زيارة الكعبة.	جناس ناقص.

لقد جاء هذا الجنس عفويًا دون تكلف من قائلته وهذا يلفت انتباه السامع، كما أنّ احتواء الأمثال على الجنس حقق حقّة وإيقاعًا تطرب إليه الآذان ممّا ساعد على حفظه وسهولة تناقله بين الناس.

لا تحمل الأمثال فقط فنيّات جماليّة وإنّما - كما سبقت الإشارة إليه - يعكس أيضًا صورة المجتمع وسيكولوجيته، ومن خلال هذا القسم من البحث سنقف على نظرة المجتمع من خلال الأمثال للمرأة الأمازيغيّة بمختلف الأدوار التي تلعبها داخل هذا المجتمع.

ثالثًا: الأمثال تحدّثنا عن المرأة الأمازيغيّة:

تنقل الأمثال ثقافة المجتمعات بتاريخها وعاداتها وتقاليدها، وفي الوقت ذاته تشكّل فلسفته ونظريته للحياة، لطالما حملت الأمثال بين طياتها قيمًا نبيلةً وأهدافًا تربويّةً ساميةً، من خلال دعوتها إلى التمسك بالدين وبالمثل العليا والأخلاق الفاضلة، لذا نبجدها قد اهتمت بكلّ مناحي الحياة المتعلقة بالسلوكات والحياة اليوميّة للفرد، وقد عبّرت بدقّة عن المفاهيم السائدة في المجتمع، فطرقت إليها بأروع الألفاظ وأسمى المعاني، فلم تتحرّج من إثارة أي موضوع، ولم تتردّد في معالجته حتّى لو كان يتناقض

مع ما يؤمن به المجتمع ويتعارض مع عاداته تقاليده، فلا عجب إن وجدنا في هذا الكمّ الهائل من الأمثال ما يتعلّق المرأة فقد غطّت الكثير من الأمثال جوانب حياتها، وعبرت بشكل أوضح عن تلك الملامح التي رسمت شخصيتها ممّا أضفى تميّزا وتفردا واضحا استمرّ عبر سنين طوال.

المتنبّع لهذه الأمثال وغيرها يجد أنّ الرّجل والمرأة شغلا مجالا واسعا في الحياة من خلال مجالات متعدّدة كالزّواج، والطلاق، وتسيير أمور البيت وتلبية مستلزماته، وتربية الأولاد وغيرها، ونجد أنّ الأمثال من خلال تلك المجالات لم تكن أكثر عدلا مع المرأة رغم أنّها احتلّت مجالا أوسع من الرّجل في مجال الواجبات، باعتبارها المساهم الرئيس في بناء بيت الزوجيّة، ولعلّ السبب واضح فالجتمّع الذي أنجبهما يميل بأنثقل كفته إلى الرّجل حتّى قيل: "نحن في ظلّ مجتمع ذكوري"، رغم أنّ تلك المرأة تلعب عدّة أدوار في حياة الرّجل القليل منهم من يقدر لها ذلك؛ فمفهوم المرأة « يحيل إلى تلك الأنثى التي لها على الرّجال حقّ الرّعاية والأخذ باليد»¹، فعلى الرّجل أن يعي ذلك، وما نجده العكس، فأكثر الأمثال تنظر للمرأة بنظرة سلبية لا تقدّر تضحياتها، وكثيرا ما كانت تسيئ وصفها، كقولهم: (تَقُونَّاسِين، تَيْدِيْت، وغيرها)، متجاهلة أنّها كائن حيّ يتألّم لمثل ذلك.

لقد حرص المجتمع القبائليّ على تزويج المرأة لتتخلّص منها، فهي تشكّل عارا يجب دفنه، فيقال: (تَقْشِيْشْت دُ لْحَزَنَ نْ لِبَارُود: الفتاة مستودع البارود)، والدّفن هذه المرّة

¹ - الشّخصيّة الجزائريّة (الأرضيّة التاريخيّة والمحدّدات الحضاريّة)، عشراقي سليمان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2002م، (ص:217).

يكون بتسريع زواجها، ومن أراد أن يتزوَّج يحرص على النسب الأصيل، فقد قيل: (وَيْنَ يُوعَنُ يَأْغُ لَعَالِي، دَفَى لِأَصَلِّ إِيْتِيلِي النَّفْعُ: من يريد الزَّواج فليتخيَّر ذات النسب الطَّيِّب)، ولن يكون فقط من جهة الأب بل أيضا من جهة الأم، يُقال: (خُطَبَ يَمَّاسُ، تَاعَضُ يَلَّيسُ: الخطبة للأم، والزَّواج للبنات)، كما يحرص على اختيار الزَّوجة الجميلة للتباهي بها أمام عائلة الرَّجل، أمَّا المرأة القبيحة فكأنَّ المجتمع يعاقبها بحرمانه من حقِّها الشرعي والطَّبيعي، فيقال: (تَقْشِيشْتُ مَا تَشْبَحُ تَقَّاغ: الفتاة عندما تكون جميلة تتزوَّج)، وكأنَّ الفتاة القبيحة لا تصلح لإعمار البيت، ذلك أنَّ الرَّجل القبائلي من بين ما يشترطه في المرأة الجمال الخارجي، (فالبنية الجسميَّة القويَّة والمتينة تعتبر مقوِّمات أساسيَّة لا يكتمل حسن المرأة إلَّا بها)¹، فهي (تؤهلها لوظيفة الأمومة...، وقد ظلَّت هذه النظرة عالقة بتقييم الرَّجل المرأة زمنا طويلا)²، ومن ذلك قولهم: (تَمَطُّوثُ إِجْهَدَنْ، ذُ تَمَطُّوثُ ذُو زَقَنْ: المرأة الكاملة تمتاز بالقوَّة)، وهنا إشارة للمرأة السَّميَّة، فقد اتَّخذوا السَّمنة معيارا للصَّحة والقوَّة.

أمَّا المرأة المطلَّقة فنجد أنَّ المجتمع القبائلي ينبذها، فهذه النظرة إجحاف حقيقي لحقِّ المرأة الذي يُهضم مرَّتين، الأولى بطلاقها إثر فشل تجربتها، وقد لا تكون سببا فيه، والثَّانية بسوء معاملة الأهل لها، ونجد أنَّ الفتاة العانس، والمطلَّقة والأرملة لم تسلم

¹ - الغزل في الأغنية الأمازيغيَّة، محمَّد مسعودي بوشتي زكي، مطبعة المعارف الجديدة، الزباط، المغرب، 2006م، (ص:26)

² - الشَّخصيَّة الجزائريَّة (الأرضيَّة التاريخيَّة والمحدَّات الحضاريَّة)، عشراقي سليمان، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2002م، (ص:217).

الصَّورة في الشَّعر العربي، عليَّ البطل، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 19983م، ط3، (ص:58)

من السنة الأمثال، فقد قيل عنها بالترتيب: (تَقْشِيشْتُ وَيْنِ تَزَوْجَعَارًا لَعَمْرُ نَسْ نُفُوح: الفتاة التي لم تتزوج في حياتها سيئة)، (تَمْطُوثُ تَفْرَا تُعَالِدُ أَيُّ مُوَلَانَسْ تَقْلُ: المرأة المطلقة التي رجعت إلى أهلها حمل ثقيل)، (تَمْطُوثُ تَقِيمُ تَقُوجِلْتُ: المرأة الأرملة نحس على أهلها)

وفي مقابل ذلك نجد المجتمع القبائلي يحترم المرأة المتزوجة، فهي أساس البيت وعماره، يُقال: (تَمْطُوثُ ذُلَسَّاسْ، أَزْقَارُ ذَاجْهُو أَلْمَاسْ: المرأة أساس البت والرجل عموده)، (أَزْقَارُ إِكْرَزْ، تَمْطُوثُ تُحْرَزْ: الرجل يعمل والمرأة تدخر)، (تَمْطُوثُ أَحْرَزْ: ثيفُ ثِيوقُ إِكْرَزْ: المرأة المقتصدة أفضل من زوج ثيران)، (تَمْطُوثُ إِزْرَنْ ثِيوقُ إِزْرَزْ: المرأة المقتصدة أفضل من ثيران الحرث)، (تَمْطُوثُ نْ يِرْمُ دْ تَسَدْ: المرأة عند زوجها الأسد لبوءة)، (لَمْرِي نْ تَمْطُوثُ دَرْ قَازْ: مرآة المرأة زوجها)، ويزيد احترامه له إذا أنجبت خاصة الذكور، فيقال: (تَيَازِيْطُ ثُوْرُو بِلَا بِلَا، قَازِنَاسْ مَدَّنْ لَا لَا: الدجاجة الولود يُقال لها: سيّدة)، وعند إنجاب الإناث يُرجى موتها، يُقال: (تَقْشِيشْتُ مَا تُمُوثُ ثَمْقَبَرْتُ تَوْسَعْ: الفتاة عند موتها يسعها القبر)

هذه نظرة مقتضبة للمجتمع القبائلي التي ينظر من خلالها للمرأة بمختلف أطوارها، ففي كثير من الأمثال لم نشعر بأن للمرأة شأنًا عظيمًا مقارنة بالمكانة التي يحظى بها الرجل القبائلي، فقد كان يتجاهلها ولا يأخذ برأيها، لذا قيل: لَمْرَا شَوْرْتُ أَنْ خَالْفِيْثْ: المرأة شاورها ثم خالفها)، وهذا للاعتقاد السائد أنّ النساء ناقصات عقل، فلا يجب أخذ رأيهنّ، في حين تستلزم الحياة المشتركة ضرورة إشراكها في الرأي واستشارتها على أن يؤخذ بالرأي الذي يحمل حججا ومنطقا سليما؛ لأنّ « المرأة

تشعر بوجودها كشخص له قيمة، وتحسّ بمركزها الأدبي وباحترام الزوج لها، وهذا يؤثر على نفسها من ناحيتين، الأولى أنسها بالحياة المنزلية...، والثانية إخلاصها في العمل الذي كان نتيجة رأيها، واجتهادها في تلقي الخطأ الذي يترتب على وحي مشورتها، وفي ذلك خير للمنزل لا يستهان به»¹.

ولو نظرنا بنظرة الدين لكلّ منها لوجدنا أنّ الله أكرمهما، وخاصّة المرأة التي رفع الإسلام من مكانتها وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فالتساء في الإسلام شقائق الرجال، ثم إنّ للمرأة في الإسلام حقّاً شرّع لها، وعليها واجب أوكّل لها، وقد أوصى بها خيراً، رغم أنّنا وجدنا المجتمع ينحاز اتجاه الرجل ولكنّه في الوقت نفسه وجدناه يحرص على إكرام المرأة وحسن معاملتها مستمداً ذلك من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وإن اقتصر اهتمامه على المرأة المتزوجة فقط.

ويتّضح من خلال ذلك أنّ المجتمع لم يتغيّر، بدليل أنّ صورة المرأة لم تتغيّر، فما زال الرجل يتمتّع بالسلطة والحظوة بخلاف المرأة التي على أكتافها تقع الأعباء الكبرى، ويبيديها تنقذ أصعب المهام.

خاتمة:

يعتبر المثل من أشكال الأدب الشعبيّ له خصائص عامّة مميّزة، فهو وسيلة تعتمد على التلميح دون التصريح في الكلام، لذا تحقّق فيه الأسلوب حكيم، وجمالية التعبير، كما يعتبر أسرع الفنون انتشاراً وأكثرها تداولاً بين الأوساط، لذا كانت ولا تزال

¹ - حقوق الزوجية، عطية صقر، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 2002م، (3/179).

مقصد الناس لتثبيت فكرة وإشاعة مقصد، من خلال هذه الدراسة يمكننا في الأخير تسجيل أهم ما توصّلت إليه من نتائج، وهي:

1- إنّ المثل قول يشبه الحكمة في إيجازه وتراصّه، فقد يصبح المثل لوئاً من ألوان الحكمة حين يضيف عليه الحكيم تجريداً، والحكمة تضحي مثلاً إذا تحقّق لها شرطاً الذّيوغ والانتشار، لكنّه يختلف عنها بأنّه أكثر تخصيصاً، وهو في أكثره ذو بعد حسيّ.

3- تتّسم بعض الأمثال الأمازيغيّة بالإيجاز، لكنّها ليست سمة طاغية على كلّ الأمثال، فالعوام فلم يكن يسعهم اللفظ الموجز لفهم الدلالات لذا احتاجوا إلى الإطناب في التعبير للوصول إلى المراد.

4- للمثل شروط وأساسيات تزيد من تأثيره في القلوب وفي الأسماع، منها: صحّة التشبيه، أن يكون معروفاً والكلّ لها موافق، أن تكون سهلة الفهم...

5- احتوى المثل الأمازيغي على لطائف بلاغيّة، وقد ساعد ذلك في توضيحه وتقريبه من الأذهان حتّى سهل حفظه وتداوله، كما نجد أنّ مبدع المثل كثيراً ما كان يعتمد التّعريض في كلامه ممّا يدفع السّامع إلى التأمّل والتدبّر في مقاصد الأمثال، وليزيد المثل حسناً ورونقاً.

6- إنّ المثل الأمازيغي من شجرة الأمثال الفصيحة، فإن اختلفا في بعض الجوانب فإنّ جوانب أخرى تجمعهما؛ لأنّ الفرع لا بدّ أن يحمل بعض ملامح الأصل.

7- تعددت صور المرأة في الأمثال، وقد ثبت من خلالها انحياز المجتمع إلى صفّ الرجل باعتباره عمود البيت والمسؤول الأول والأخير عليه، ولكنّه قد حفظ للمرأة مكانتها، وإن كانت أدنى مكانة من المكانة التي يحظى بها الرجل، وهي نظرة استمدّها من تعاليم الشريعة الإسلامية، رغم أنّ الكثير من الأمثال الأمازيغية خصّصت المرأة بصور سلبية كثيرة، وما كانت تلك الصورة إلاّ لمعتقدات جاهليّة الأصل، معتقدات تنبذ الأنثى وتعتبرها عارا، وهي معتقدات ما أنزل الله بها من سلطان، ومع الأسف فالكثير منهم في زماننا هذا يتبنّى المعتقد نفسه، والغريب أن أكثر الأمثال تتحدّث عن المرأة، فقد بيّنت صورتها كفتاة في بيت والدها، وصورتها كزوجة، ولم تنس صورتها كأرملة ومطلّقة.

8- لم تحتو الأمثال الأمازيغية المرأة، فلم تهتم لرغباتها أو لطموحها، لم تعيش مشاكلها فكان همّها الوحيد جعلها وسيلة لإسعاد الرجل وتحقيق رغباته.

الأمثال الأمازيغية تعدّ ثروة لغويّة وفنيّة أثرت الأدب الشعبيّ، يستطيع الدّارس استغلال ما فيها من ظواهر لدراستها، فلا زالت في الأمثال الشعبيّة عدّة الجوانب تحتاج لكشف الستار عنها.

نرجو في الأخير أنّا قد وقّفنا في تحقيق الهدف الذي سعينا إليه من وراء هذا العمل، فنسأل الله أن يجعله نافعا بقدر ما بُذل فيه من جهد، فهو حسبنا وبالع عملنا، وعليه توفيقنا.